المحاضرة الثالثة

نصوص من كتاب علم الاجتماع اللغوي

تأليف: د. هدسون

٤ - ٢ - ١ التصنيفات الاجتماعية اللاعلاقية

Non-relational social categories:

ربما كانت لكل لغة وحدات لغوية ، تعكس الخصائص الاجتماعية للمتحدث أو المُخاطَب أو العلاقة القائمة بينهما . وبالتالى ، فإن الكلام الذى يشتمل على مثل هذه الوحدات ينبىء المتلقى عن الطريقة التى يرى بها المتحدث هذه الخصائص ، وسيعد المتحدث من المخالفين لهذه المعايير الكلامية إذا استخدم وحدات لغوية تدل على خصائص مغايرة . والمعايير التى سنعرض لها فى هذا الجزء ، هى أكثر هذه المعايير شيوعاً فى الدراسات والأبحاث .

ومن أبسط الأمثلة على ذلك ، الوحدات اللغوية التى تعكس الخصائص الاجتماعية لفرد بعينه سواء أكان متحدثاً أو متلقياً . ومن أغرب الحالات المذكورة فى الأبحاث الإثنوجرافية ، هى حالة الأبيبون Abipon فى الأرجنتين الذين يقومون على حد قول هايز Hymes (١٩٧٢) بإضافة اللاحقة (in) (- إن) فى نهاية كل كلمة ، إذا كان المتحدث أو المتلقى من المحاربين . وتتضمن لغة اليانا) Yana (فى كاليفورنيا ، أيضاً ، صيغة خاصة تُستخدم فى الكلام عن النساء أو فيما بينهن (سابير Sapir ١٩٢٩) . وعلى أية حال ، فإن المعايير فى معظم هذه الحالات تشير إلى المتحدث أو إلى المُخاطَب .

أما بالنسبة للمتحدث ، فإن أكثر الخصائص شيوعاً ، والتى تنعكس فى الوحدات اللغوية ، هى خاصية الجنس . وهناك أمثلة كثيرة معروفة على ذلك فى كل

من الأمريكتين وآسيا (انظر العرض الخاص بذلك فى تردجيل Trudgill ١٩٧٤ – ب: ٨٤ ، وهاس Haas ١٩٤٤) . وهناك على سبيل المثال ، أمثلة كثيرة على ذلك فى لغة الكوساتى Kossati المُستخدَمَة فى لويزيانا Louisiana . فهناك اختلاف فى صيغ الأفعال التى تستخدمها الإناث وتلك ، التى يستخدمها الذكور. ويقوم الذكر بإضافة صيغة (s-) فى نهاية الصيغ المؤنثة (ومن الأمثلة على ذلك ، أن الذكور يستخدمون صيغة Lakâws ، بينما تستخدم النساء صيغة Lakâw ، وتعنى الصيغتان « يرقع » . وهناك نوع آخر من علامات الجنس فى لغة جزر الكاريب Carib فى أمريكا الوسطى ، وينبئنا تاريخ هذه الجزيرة بدقة بمصدر هذه الاختلافات الجنسية ، لأن سكان الجزيرة قد انحدروا من نسل ذكور يتحدثون اللغة الكاريبية ، ونساء يتحدثن بلغة الاراواك Arawak ، وهن النساء اللاتى قتل الكاريبون أزواجهن (ولا تتصل الاراواك Arawak بالكاريب) ، ولذلك توجد اختلافات بين الرجال والنساء فى عددٍ من جوانب لغتهم فى جزيرة كاريب ، وأهم هذه الاختلافات الخاصة بالنوع بالنسبة للأسماء المجردة ، فبينما يتعامل النساء مع هذه الأسماء على أنها مذكر (نحوياً) ، يعاملها الرجال على أنها مؤنث (تايلور Taylor ١٩٥١ : ١٠٣) .

وبالرغم من أنه قد يكون من غير المألوف وجود وحدات لغوية خاصة باستخدام الذكور وأخرى خاصة باستخدام النساء ، أو أن تكون هناك صيغ صرفية حسب جنس المُخاطَب إلاّ أننا سنرى (فى ٥ – ٤ – ٣) أن هناك اختلافات كمية بين المتحدثين من الذكور والإناث فى اللغة الإنكليزية ، حيث تميل النساء نحو استخدام التعبيرات ذات المكانة الاجتماعية الراقية أكثر من الذكور الذين ينتمون إلى نفس الخلفية الاجتماعية . ولكن ، من الخطأ أن نتعامل مع هذه الاختلافات الكمية كأمثلة من نفس نوع ظاهرة الاختلافات النوعية القائمة فى لغة مثل لغة الكوساتى ، لأنها تقوم بوظيفتين مختلفتين . فبينما تؤدى الاختلافات القائمة على أساس الجنس فى لغة الكوساتى وظيفة الشاهد marker على الاختلافات النوعية بين المتحدثين ، مؤيدة بذلك أية اختلافات قائمة أخرى ، تقوم الاختلافات الكمية فى اللغة الإنكليزية بدور مختلف ، فهى تعد نتيجة لميل النساء إلى اتخاذ مواقف أكثر إيجابية تجاه اللهجة (أو

اللكنة) المتواضع عليها . (أنظر اليان وآخرين Elyan et al ١٩٧٨ من أجل دراسة أكثر تفصيلاً) . فالاختلافات الجنسية النوعية الموجودة فى اللغة الإنكليزية ، لا تقوم بوظيفة الشاهد على النوع لأنها لا تميز بين أنثى نموذجية من طبقة بعينها ، وبين ذكر نموذجى من طبقة أعلى من طبقة الأنثى .

ولو نظرنا من زاوية المتلقى ، لوجدنا أن هناك طرقاً كثيرة قد تختلف بها طريقة المتحدث فى الكلام ، ويعتمد ذلك ، فى المقام الأول ، على نوعية أو ماهية المتلقى . ويبدو أن جميع اللغات تتضمن وحدات لغوية معينة ، لا تُستخدم إلاّ عند توجيه الحديث إلى الأطفال ، مثل الوحدات الإنكليزية gee-gee للاستدلال على **الحصان** . (ومن الملاحظ أن هذه الاختلافات فى اللغة الإنكليزية لا تقتصر على المفردات ، فهناك تراكيب شائعة الاستخدام فى اللغة الإنكليزية مثل **Mummy pick up baby** وهى تختلف عن التراكيب التى يستخدمها البالغون ، سواء من ناحية التركيب لأنها فى صيغة « أمر للغائب » third person imperative ، أو من الناحية **البراجماطيقية** وذلك لأنها تتجنب استخدام الضمائر (I و you) ، وهناك أمثلة أخرى كثيرة مذكورة فى أبحاث « لغة الرُضَّع » Baby talk فى كل اللغات ، وهناك بعض الأمثلة على ذلك من اللغة الهندية الأمريكية لغة الكومانش Comanche (كاساجراند Casagrande ١٩٤٨) . ويرى تشارلز فرجسون Charles Ferguson (١٩٧١) أن بعض مظاهر لغة الرُضَّع قد تكون شمولية ، لو قورنت بالحديث العادى. ومن هذه المظاهر عدم وجود فعل الكينونة (الذى يقوم بوظيفة الوصل) (copula-be) فى التراكيب ، التى تتضمن هذا الفعل بصفة عادية مثل (Mummy tired) .

ولعل أغرب الاختلافات التى قام الدارسون بدراستها ، تلك الاختلافات الموجودة بين هنود النوتكا Notka فى جزيرة فانكوفر (سابير ١٩١٥ Sapir) ، فلغة النوتكا تتضمن صيغاً معينة للكلمات التى لا تُستخدم إلاّ عند توجيه الحديث إلى ذوى العاهات والمعوقين ، (وخاصة الأطفال ، الذين يتّسمون بالبدانة الشديدة ، أو البالغين الذين يتّسمون بقصر القامة ، والذين يعانون من عيوب فى النظر أو الأحادب

والعرجان والعسران والمطهرون) فمثلاً ، فى حالة التحدث إلى مَنْ يعانى من الحوّل ، تضاف لاحقة لكل الأفعال وتتحول كل حروف (الصفير) sibilant مثل الـ ([s] والـ [c]) إلى أصوات جانبية مهموسة (مثل صوت لهجة ويلز الذى يكتب (ii)) .

٤-٢-٢ القوة والتضامن :

ويعكس الكلام غالباً العلاقات الاجتماعية بين المتحدث والمتلقى ، وخاصة علاقات القوة power والتضامن solidarity المتجلية فى هذه العلاقة . (وقد قدّم عالم النفس الاجتماعى روجر براون هذه المصطلحات والمفاهيم لمجال علم اللغة الاجتماعى – انظر براون وفورد Brown & Ford ١٩٦١ وبراون وجيلمان Brown & Gilman ١٩٦٠) ، وتعد هذه الأبحاث أهم ما كُتِبَ عن الشواهد اللغوية التى تدل على العلاقات الاجتماعية Linguistic markers of social relation ومن السهل تفسير « القوة » ، ولكن من الصعب أن نعرف ماذا نعنى « بالتضامن » . ويختص «التضامن» بالمسافة الاجتماعية بين الناس ، وبتجاربهم الاجتماعية وخصائصهم الاجتماعية المشتركة (مثل الديانة والجنس والسن ومسقط الرأس والعِرق والمهنة والاهتمامات ، إلخ) ، ومدى استعدادهم للمشاركة فى مسائلهم الشخصية إلخ .

فبالنسبة للمتحدث الإنكليزى ، مثلاً ، فإن أوضح الشواهد اللغوية والدالة على العلاقات الاجتماعية بين الناس ، استخدام الأسماء الشخصية مثل جون والسيد براون Mr. Brown ، فلكل فرد عدد من الأسماء المختلفة يمكن مخاطبته بها ، منها اسمه الأول واسم العائلة واللقب إذا وُجِدَ مثل (Professor أو Mr.) . وينبغى علينا أننفحص صيغتين فحسب من هذه الأسماء ، هما صيغة الاسم وحده مثل John وصيغة اللقب التى يتبعها اسم الأسرة مثل Mr. Brown ، كيف إذن يقرر الفرد مخاطبة John Brown سواء بصيغة الاسم John أو بصيغة اللقب واسم الأسرة Mr. Brown ؟ ترتبط الإجابة عن هذا السؤال بكل من عاملى القوة والتضامن ، كما قال براون وفورد Brown & Ford فى دراستهما الخاصة باستخدام الطبقة المتوسطة للأسماء فى

أمريكا. ومرة أخرى ، علينا أن نعود لذكر فوائد استخدام مفهوم «النموذج الأصل» ، ذلك أننا نستطيع تحديد موقفين نموذجيين تُستخدم فى كل منهما صيغة الاسم John أو صيغة اللقب واسم الأسرة Mr. Brown على حدة ، ويمكننا بعد ذلك ربط المواقف الأخرى بهذين الموقفين . ويُستخدم اسم جون عندما يكون هناك قدر كبير من التضامن بين المتحدث وجون براون ، وعندما يكون جون أقل من حيث « القوة » من المتحدث، أو بعبارة أخرى عندما يكون جون براون من مرؤوسى المتحدث الأقربين Close subordinate ، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك أن يكون جون براون ابناً للمتحدث . ومن ناحية أخرى، يعد استخدام صيغة السيد براون مرهوناً بوجود قدر قليل من التضامن ، أى عندما يكون جون براون أكثر « قوة » من المتحدث ، أى إذا كان رئيساً أبعد كأن يكون مدير الشركة أو الناظر ، أى أن المتحدث لا يعرفه عن كثب . ويبدو أنه من المستبعد أن يكون هناك أى خلاف بين المتحدثين الإنكليز على الاستخدام المناسب للأسماء فى كل من هذين الموقفين .

ولكن يبدو أن هناك قدراً أقل من الاتفاق أو اليقين حول استخدام الأسماء المناسبة فى المواقف التى قد تقع بين هذين الموقفين . فيماذا يخاطب الفرد رئيساً أقرب مثلاً ؟ فعند انضمام طلاب جدد إلى جامعة بريطانية ، يبدأون بصفة عامة بمخاطبة رئيس القسم بلقب الأستاذ فلان Professor X لأنه رئيس بعيد ، ولكنهم بمرور الوقت وتدريجياً يتعرّفون عليه من خلال محاضراته ومن خلال الاتصال المباشر غير الرسمى ، ويشعرون أنهم يعرفونه جيداً . والسؤال الآن هو : متى وكيف يبدأون بمخاطبته باسمه الأول . يحسم رئيس القسم ، ذاته ، هذه المشكلة فى بعض الأحيان، إذ ينّبه على طلبته فى يومهم الأول بأن عليهم أن ينادوه ويخاطبوه باسمه الأول، ولكن يحدث فى معظم الأحيان وفى أماكن كثيرة أخرى أن يُترك الطالب ليقرر بنفسه المدى الذى وصلت إليه درجة التضامن بينه وبين الأستاذ إلى حدٍ يسمح له بمخاطبته باسمه الأول، ويختلف الطلاب فى المدى الزمنى الذى يقررون فيه ذلك ، فبعضهم يأخذ من الوقت ثلاثة أعوام أو أكثر ، وبعضهم الآخر يفعل ذلك بعد يومين أو ثلاثة ومن الواضح أن تفسير هذه الاختلافات الفردية مسألة معقدة للغاية لأنه يتطلب إلماما

بالمكونات الخاصة بشخصية الطالب والمعايير المتواضع عليها. ولكن لا ينبغى لهذه الاختلافات أن تؤثر على اتفاق الجميع، فهناك نقطة معينة على متواصل التضامن يصبح الوقت عندها مناسبا لاستخدام الإسم الأول.

ومن ميزات استخدام هذا الاسلوب لإظهار درجة القوة والتضامن أنه يمكن تجنب مثل هذه المشكلات إذا لم نستخدم أى اسم لمخاطبة شخص بعينه. ولكن هناك لغات أخرى تستخدم اساليب مختلفة شاهدا على علاقات القوة والتضامن، وهذه الأدوات أقل مقدرة على تجنب هذه المشكلات (كما سنرى فى ٤-٢-٣)، ومنها على سبيل المثال استخدام ضمائر المخاطبة فى اللغة الفرنسية مثل VOUS و tu ، فكلاهما يعني «انت» وكلاهما مفرد بالرغم من أن VOUS تستخدم للجمع. أما المعايير المتعارف عليها والمستخدمة فى تفضيل واحدة على الأخرى فى حالة استخدامها لمخاطبة «المفرد» فهى نفس المعايير المستخدمة للاختيار بين الإسم الأول وبين اللقب واسم الأسرة فى اللغة الإنجليزية فـ tu تستخدم نموذجيا عند مخاطبة « مرؤوس أقرب » وتستخدم VOUS عند مخاطبة رئيس أبعد، ويمكن قياس المواقف الأخرى على هذين الموقفين. ولكن من الصعب، على عكس الأمر فى اللغة الإنجليزية، تجنب مشكلات الاختيار بين الصيغتين فى اللغة الفرنسية، ولذلك لابد من عدم ذكر اسم المخاطب أو الدلالة عليه اطلاقاً إن شئنا تجنب مثل هذه المشكلات.

وقد اوضحت دراسات براون وجيلمان أن هناك تغييرات كثيرة حدثت مع مرور الزمن فى المعايير المتحكمة فى الضمائر الفرنسية المشتقة اصلا من الضمائر اللاتينية حيث كان التمييز بين هذه الضمائر يعتمد فقط على عدد من المخاطبين (« أنت » tu للمفرد و VOS للجمع). ولعدد من الاسباب التاريخية بالغة التعقيد تغيرت « VOS » واصبحت هى ومشتقاتها تستخدم للدلالة على شخص ذى مرتبة أو قوة أكبر من قوة المتحدث ومرتبته (وخاصة الإمبراطور) وذلك دون وضع عنصر التضامن في الاعتبار، ولكن بمرور الوقت اصبح التضامن أكثر أهمية حتى أصبح فى الوقت الراهن هو العنصر المحدد لاستخدام أى من الصيغتين. فعلى سبيل المثال كان من المعتاد حتى وقت قريب أن يخاطب الاطفال الفرنسيون أباهم بصيغة VOUS اعترافا بقوته ومرتبته

الاجتماعية، ولكن أصبح عاديا الآن أن يخاطبوه بصيغة tu بسبب ذلك القدر الكبير من التضامن. وقد حدثت تغييرات كثيرة مشابهة فى كثير من لغات غرب اوروبا مثل الألمانية والإيطالية (براون وجيلمان ١٩٦٠) والروسية أيضاً (فريدريخ Freidrich ١٩٧٢). (ومن الملاحظ أن استخدام صيغتين مختلفتين لضمير المفرد المُخاطَب من أجل اظهار القوة أو التضامن هو أحد الملامح areal feature الجغرافية لأوروبا ، مثل الملامح السابقة الذكر فى ٢ - ٣ - ٤ ، ذلك أنه ظاهرة غير موجودة فى اللغة اللاتينية واللغات المُستخدَمة فى دول غرب أوروبا منذ ألفى عام ، ولكنها ظاهرة موجودة فى اللغات غير « الهندو - أوروبى » ، مثل اللغة المجرية (هولوس ١٩٧٧ Hollos) ، ويمكن متابعة هذه الظاهرة شرقاً إلى الشرق الأدنى حتى اللغة الفارسية (جاهانجيرى Jahangiri فى طور الإعداد ، وبراون وليفينسون Brown & Levinson ١٩٧٨) وتعد هذه التغيرات تغيرات هامة لأنها قد تلقى ضوءاً على «النماذج الأصول» ، كاشفة أن عملية التغيير قد تؤثر على هذه «النماذج الأصول» ذاتها (بحيث يصبح التضامن تدريجياً أحد خصائصها المميزة) أو قد تتجاوزها (كما هو الحال بالنسبة للتغيرات التى طرأت على التوازن الدقيق الموجود بين القوة والتضامن ، والذى يحسم الحالات الوسيطة بينهما).

لسنا فى حاجة إلى القول ، أنه ليس من الصعب الربط بين درجة التغيرات فى الأهمية النسبية لعاملى القوة والتضامن كعاملين محددين لاختيار الضمائر وبين التغيرات الجارية والموازية لها فى البُنية الاجتماعية ، وقد قام بعض الكتّاب الذين سبق ذكرهم بتحديد ذلك . ومن الأمثلة الرائعة على ذلك استخدام الضمائر الإيطالية (وهى tu « أنت » وتُستخدم للمرؤوسين الأقربين اجتماعياً ، و Lei وتُستخدم لِمَنْ هم أرفع مقاماً أو رؤساء أبعدين) . وقد اتضح من بعض الدراسات ، استخدام الطبقات الوسطى والدُنيا فى روما (بيتسى وبنينتى ١٩٧٥ Bates & Benigin) لهذه الضمائر بهذه الطريقة ، ومن الغريب أن معظم الذين يستخدمون Lei هم من الشباب الذكور الذين ينتمون للطبقة الدُنيا ، وهم أول مَنْ نتوقع أن يكونوا أكثر استعداداً لتوسيع استخدام الضمير ذى السمة الديموقراطية tu ، وقد شملتْ تلك الدراسة أيضاً

المتحدثين الأكبر والأصغر سناً من كلتا الطبقتين ، واتضح أن شباب الطبقة الدُنيا يميلون إلى استخدام Lei أكثر ممن يكبرونهم سناً ، على عكس شباب الطبقة المتوسطة الذين يستخدمون هذا الضمير بنسبة تقل عمنْ يكبرونهم سناً من نفس الطبقة . ويرى بيتس وبنيتى فى تأويل نتائج تلك الدراسة ، أن شباب الطبقة المتوسطة يستخدمون ما يعتقدون أنه استخدام أكثر شيوعاً وديموقراطية بين الطبقات الدُنيا ، بينما يعتقد شباب الطبقات الدُنيا أنهم يستخدمون ما يتصورون أنه استخدام شائع وراق بين أفراد الطبقة المتوسطة . ولو استمرت تلك العملية ، فإننا نتوقع أن تستبدل الطبقتان الدُنيا والمتوسطة معايرهما ، وذلك مما يثير تعجّب كثير من أهل روما . وقد دُرِسَتْ الشواهد اللغوية الخاصة بالتضامن والقوة دراسة كافية ومستفيضة ، مما يحدو إلى اقتراح ظاهرتين لغويتين يحتمل أن تكونا شموليتين . وينبغى علينا أن نتوقع أن كل اللغات لها وسائلها « للدلالة » على الاختلافات الاجتماعية ، التى تدل على أى من التضامن أو القوة أو كليهما . ويمكننا تفسير ذلك بقولنا أن التضامن والقوة من أهم العوامل المؤثرة فى عملية الاتصال الاجتماعى المباشر بين الأفراد . ويمكننا أيضاً أن نقول أنهما تعبّران عن حاجة الفرد لتحديد رؤيته لطبيعة هذه العلاقات . ويبدو أيضاً أن انعكاس هذين العنصرين الاجتماعيين فى نفس المجموعة من الصيغ اللغوية (كما هو الحال فى كل اللغات التى درسناها حتى الآن) ، يثبت لنا أن الصيغ التى تعبّر عن درجة كبيرة من التضامن ، هى التى تعبّر أيضاً عن قدرٍ أكبر من القوة من جانب المتحدث والعكس صحيح أيضاً . وقد تكون «النماذج الأصول» التى قمنا بتحديدها فى اللغة الإنكليزية نماذج شمولية . ويرى براون وفورد (١٩٦١) أن العلاقة بين القوة والتضامن علاقة شمولية ، حيث تشير كلتاهما إلى أن ذوى المكانة الاجتماعية الأعلى هم الذين يحددون متى تصبح درجة التضامن كافية لاستخدام الصيغ المعبّرة عنها (كما رأينا فى حالة الطالب وعلاقته برئيس قسمه) ، ولذلك قَمِنَ المحتمل أن يكون الشخص ذو المكانة الاجتماعية الأعلى ، هو الذى يستخدم أولاً صيغة المخاطبة الأكثر تضامناً ، ومن هنا تنشأ علاقة أقوى من التضامن وينشأ استخدامها مع مَنْ هم أدنى درجة .

٤-٢-٣ الشواهد اللغوية على القوة والتضامن

: Lingusite signals of power & solidarity

ويمكننا أن نعتبر أن الشواهد اللغوية الرئيسة التى تدل على التضامن والقوة فى اللغة الإنكليزية نسق جانبى فى نظام اللغة الإنكليزية ، أى أن أسماء الأعلام المستخدمة للنداء والمخاطبة (أو بعبارة أخرى لمخاطبة ما) يمكن التعامل معها فى جزء منفصل من النحو ، دون المساس بأىّ أجزاء أخرى من النظام النحوى للغة ، (والحقيقة كما سنرى فيما بعد أن الأمر ليس بهذه البساطة حتى فى اللغة الإنكليزية). وقد يتصوّرالقراء الإنكليز الذين يتحدثون بالإنكليزية أن الأمر كذلك بالنسبة لكل اللغات الأخرى ، ولكن ذلك ليس صحيحاً . فَمِنَ المألوف أن يكون التعارض بين القوة والتضامن هاماً للغاية ، وأن يرتبط إرتباطاً وثيقاً بالنحو فى اللغات الأخرى فى جوانب عديدة . وفيما يلى ، عرض موجز لأكثر شواهد القوة والتضامن شيوعاً (وسنستخدم مصطلح القوة والتضامن للدلالة على هذا التعارض بهدف التبسيط ، دون أن نعنى ضمنياً بذلك أن كلاً منهما يؤدى على حدة نفس الوظيفة وبنفس الدرجة فى جميع الحالات) . وسنجد دراسة وافية لذلك فى براون وليفنسون Brown & Levinson (١٩٧٨) .

وسنبدأ هذا العرض بالنوع المألوف من الشواهد فى اللغتين الإنكليزية والفرنسية ، حيث تشير الوحدات اللغوية ذات الأهمية (أى التى تتباين صيغها نتيجة لعلاقات القوة والتضامن) إلى المُخاطَب . وتشمل هذه الوحدات فى اللغة الإنكليزية أسماء الاعلام ، بينما تتضمن الضمير المُخاطَب « أنت » فى اللغة الفرنسية . أما فى اللغات الأخرى ، فتتضمن هذه الوحدات الهامة أشباه الجمل الاسمية العادية noun phrases التى تُصاغ حول الأسماء الشائعة common noun عند استخدامها فى حالة المخاطبة . ويذكر ميتشل Mitchell (١٩٧٥ : ١٥٩) على سبيل المثال ، أن هناك استخداماً شائعاً فى الجماعات الإسلامية حيث « يدلل الأكبر سناً الأصغر باستخدام نفس الصيغ التى يجب أن يستخدمها الأصغر لمخاطبة

وهناك نقطة أخيرة وهامة عن الشواهد اللغوية الدالة على القوة والتضامن ، وخاصة أن هذه الشواهد لا تقتصر على تحديد علاقات القوة والتضامن ، بين المتحدث والمتلقى ولكنها أيضاً تحدد هذه العلاقة بين المتحدث وأى كيان آخر غير المتلقى . ومن الأمثلة الواضحة على ذلك فى اللغة الإنكليزية ، استخدام الأسماء الشخصية والتى سبق أن ذكرنا استخدامها كأسماء مخاطبة (كما فى **بعد إذنك يا جون / يا سيد براون ..**) . ويمكن استخدام نفس المجموعة من الكلمات للدلالة على جون براون ، عندما لا يكون هو المتلقى ، وتتحكّم نفس المجموعة من القواعد فى اختيار صيغة المخاطبة المناسبة . وعلى ذلك ، لو نظر المتكلّم إليه على أنه تابع أقرب close subordinate ، فسيشير إليه مستخدماً صيغة جون، (مثلاً ، **لقد رأيت جون أمس**) ، بينما سيشير إليه بصيغة السيد براون Mr. Brown إذا كان يعتبره رئيساً أعلى ، وسيكون الأمر مربكاً لو كان المُشار إليه شخصاً يقع فى منطقة وسط بين المنطقتين .

ومن الواضح أن مشكلة المفاضلة بين الصيغ المتاحة تكون أقل حدة إذا لم يكن الشخص المقصود حاضراً أثناء الحديث ، ومن الطريف أن الصيغ المستخدمة فى لغة الناهوتال Nahuatl للاشارة لشخص غير حاضر ، تكون أقل احتراماً من الصيغ المستخدمة للاشارة إليه إذا كان حاضراً . (هيل وهيل ١٩٧٨ Hill & Hill) . ويبدو أنه من المستحيل أن يكون العكس صحيحاً بالنسبة لأية لغة من اللغات .

وهذه نقطة هامة ، تظهر أن علاقات القوة والتضامن بين المتحدث والمتلقى يمكن اعتبارها حالة خاصة لظاهرة أكثر عموماً ، وتختص هذه الظاهرة بعلاقات القوة والتضامن بين المتحدث والعالم بأسره . ويبدو أن اللغة تدفعنا ، بل تجبرنا ، بصفة دائمة على تحديد علاقتنا مع ما نتحدث عنه . فإذا تحدّثنا عن فرد بعينه فعلينا أن نحدد أنفسنا بالنسبة إليه من ناحية علاقات القوة والتضامن . وإذا كنّا نتحدث عن شىء بعينه فينبغى علينا أن ننتقى كلماتنا بشكل يعكس علاقاتنا مع صاحب هذا الشىء (كما يحدث فى اللغتين الجافينزية Javanese والناهوتال Nahuatl) . ولذلك يمكننا أن ننظر إلى الشواهد اللغوية الدالة على القوة والتضامن على أنها نموذج آخر لكيفية

الأكبر . ولذلك ، يمكن للأم فى لغة البربر (المستخدمة فى شمال أفريقيا) أن تستخدم صيغة « يمّه » لمناداة ومخاطبة ابنها ، وتستخدم نفس الصيغة فى سياق آخر لتعنى «يا أُمى» . (نعتقد فى هذه الحالة أن التدليل أو المخاطبة العاطفية تعد نوعاً خاصاً من التضامن) . ولكن هناك مواقف أخرى مشابهة فى اللغات الأخرى تُستخدم فيها أشباه الجمل الاسمية ، والتى يمكن ترجمتها حرفياً بـ « خادمك يا سيدى / / إننى فى خدمتك / طوع بنانك ، إلخ » ، للدلالة على المتحدث . ومن هذه اللغات ، اللغة الفارسية (جاهالمجيرى ، مازال فى طور الإعداد)، حيث تُستخدم مجموعة من أشباه الجمل الاسمية لتبجيل المتلقى ، ولذلك يمكن تحديد علاقات القوة بين المتحدث والمتلقى عن طريق أشباه الجمل الاسمية المستخدمة بينهما ، ونستطيع أن نخمّن أن اللغات الأخرى التى لديها وسائل أخرى للدلالة على علاقات القوة والتضامن ، لابد أن يكون لديها صيغ بعينها للدلالة على المتلقى وربما على المتحدث أيضاً .

وفى لغات أخرى ، مثل اللغتين اليابانية والكورية ، هناك علاقة مباشرة بين القوة – والتضامن وبين الصيغ الفعلية verb-form المستخدمة . وحيث إننا لا نستطيع الكلام دون استخدام الأفعال ، فَمِنَ الضرورى أن يعكس الكلام هذه العلاقات. ويوجد فى اللغة الكورية ما لا يقل عن ست لواحق متباينة تعكس مختلف علاقات القوة والتضامن بين المتحدث والمتلقى ، ولابد للفعل من أن يتضمن إحدى هذه اللواحق (مارتين ١٩٦٤ Martin) . ومن الطريف أنه يمكن تقسيم هذه اللواحق الست إلى مجموعتين تعكس ثلاث منها درجات مختلفة من التضامن الإيجابى (عادى ووثيق ومألوف) ، بينما تعكس الثلاث الأخرى علاقات قوة مختلفة بين الذين يرتبطون بعلاقات تضامن غير قوية (« مهذّب » و « متسلّط » و « مهتم ») . وبعبارة أخرى ، فإن لشواهد علاقات التضامن فى اللغة الكورية ، كما هو الحال فى الإنكليزية والفرنسية ، أسبقية على علاقات القوة ، وذلك فى إطار الشواهد اللغوية الدالة على القوة والتضامن . (وليس ذلك هو الحال دائماً كما قد نكتشف من الموقف الذى يصفه لنا هيل وهيل ١٩٧٨ Hill & Hill بين الناهوتال Nahuatl فى المكسيك، حيث تتفوق علاقات القوة على أوثق علاقات التضامن بالنسبة للمخاطب

المسن). وتعد الأفعال أيضاً من شواهد القوة والتضامن فى اللغة الفارسية، ولكن لابد من تغيير شكل الفعل بإضافة الصيَغ الصرفية، ويمكن الاشارة إلى ذلك باختيار وحدات معجمية مختلفة ذات دلالة واحدة (مثل الاختيار بين attempt و try فى اللغة الإنكليزية) . ولكن هذه الاختيارات اللغوية تحددها علاقات القوة والتضامن بين المتحدث والفاعل فى التركيب اللغوى ، ولذلك فإن الفعل لن يكشف عن علاقات القوة والتضامن بين المتحدث والمتلقى ، إلاّ إذا كان المتلقى هو « فاعل » الجملة . (وعلاوة على ذلك ، فلو كان للفعل مفعول به ، فإن صيغة المفعول هى التى تعكس علاقات القوة والتضامن بين الفاعل والمفعول به ، لا بين الفاعل والمتحدث) .

والنوع الثالث من الشواهد اللغوية ، الدالة على علاقات القوة والتضامن هو **مستوى المفردات** vocabulary level . ومن الأمثلة المناسبة على ذلك ، اللغة الجافينيزية Javanese (جيرتز Geertz ١٩٦٠) ، وتقدم لنا هذه اللغة عدداً من الصيغ البديلة المدرجة فى معجم المفردات لكل منها عدد كبير من المعانى ، ولكن هذه البدائل لا تقتصر على الأفعال (وأشباه الجمل الاسمية التى تدل على المتحدث والمتلقى) ، كما هو الحال فى اللغة الفارسية ، ولكنها تؤثر على كل أجزاء الكلام Parts of Speech . ويعطينا جيرتز ، على سبيل المثال ، كل الصيغ التعبيرية البديلة للجملة الجافينزية « هل ستأكل أرزاً وكاسافا الآن ؟ » (يمكن ترجمتها بالإنكليزية كلمة بكلمة) ، ويتضح لنا من ذلك أن هناك كلمتين أو ثلاث كلمات فى اللغة الجافينزية لكل كلمة إنكليزية ما عدا كلمة **كاسافا** . ويزعم جيرتز أن هناك قواعد محددة للكلمات التى يمكن أن تتوا م معاً فى نفس الجملة ، وهو يحدد ستة مستويات أسلوبية ، يتحدد كل منها بمجموعة معيّنة من المفردات ، حتى أن أية جملة يمكن أن تنتمى لمستوى أسلوبى واحد فقط . ويبدو أن وظيفة « مستويات الأسلوب » هى تحديد علاقات القوة والتضامن بين المتحدث والمتلقى ، وخاصة لإقامة جدار من الرسمية السلوكية يحمى حياة المتلقى الداخلية الخاصة (على حد قول جيرتز). وكلما ارتقى مستوى الأسلوب، زاد عدد الجدران لحماية المتلقى من أية محاولة للتدخل فى خصوصيات حياته .